

# ما بعد المشاورات: دعم المشاركة المثمرة من جانب المراهقين

بقلم: جين لويكي



Allison A Pillsbury

باحثون مراهقون يتعلمون مهارات الاتصال، سيراليون

في سيراليون على الإطلاق. فعادة ما نتسلم طلب حصول على معلومات ونُبِّغ بضرورة تجميع الشباب والقيام بالمتابعة والتسليم. ومتى طرحنا تساؤلات عن الإجراءات أو قدمنا اقتراحات فإنها لا تقابل بصدور رحب. وفي العادة عندما نقوم بإجراء البحوث فإن الجهة التي تكلفنا بها لا تتصل بنا مرة أخرى مطلقاً.»

إن القول للشباب «سنعطيك الدعم الذي تحتاجون إليه، على أن تقرروا أنتم ما هو مهم لكم، وما يصلح لكم، وأن تتولوا أنتم أموركم المالية»، وما إلى ذلك، يعد بمثابة تغيير ثوري. فالمرهقون يمرون بمرحلة من مراحل النمو يصوغون فيها هويتهم ويستعدون بهمة للدخول إلى مرحلة البلوغ؛ فيحتاجون إلى اتخاذ إجراءات بأنفسهم، والكثير من المراهقين المضارين من الحرب تلقى على عاتقهم أدوار البالغين قبل الأوان، فيصبحون جنوداً وأمهاً وآباءً وأرباب أسر وأزواج وزوجات وعائلين أساسيين وغير ذلك في ظل

## في عام ٢٠٠٠ شرعت اللجنة النسائية للاجئات وأطفال اللاجئين في «سلسلة رباعية من الدراسات الاستكشافية القائمة على المشاركة، حول المراهقين المضارين من الصراعات المسلحة».

في كل موقع من المواقع المختارة كشف لنا المراهقون بصورة ثابتة عن المحدودية الشديد في فرص المشاركة في عملية صنع القرار التي يسيطر عليها البالغون. وحتى عندما نتاح لهم الفرصة، خصوصاً في عمليات الإغاثة الإنسانية، فإن طبيعة المشاركة غالباً ما لا تتعدى استشارة الشباب أو الاستعانة بهم لتنفيذ رغبات وأهداف الكبار المحددة سلفاً.

استمعنا إلى نجولو كاتا، القيادي الشاب الذي ينسق دراسة بحثية في سيراليون بالاشتراك مع مجموعة من الشباب، والذي قال «إن هذا المنهج جديد تماماً، ولم يتم تطبيقه من قبل

لكنني نتفهم معنى هذه المجموعة من المصطلحات ونوضح كيف تتطوي الفكرة على بحوث مكثفة وجهود للدعوة من إعداد وتنفيذ المراهقين بأنفسهم، أجرينا مقابلات مع عدد من الشباب من كوسوفا في عام ٢٠٠٠، وأوغندا الشمالية في ٢٠٠١ وسيراليون في ٢٠٠٠ حول مدى اهتمامهم بالمشاركة. وكنا نتوقع أن ينزع الشباب لأننا لم نتمكن من إنشاء برامج يعتد بها للمراهقين بعد انتهاء البحث، لكن المدهش أنهم فوجئوا أساساً بأننا نطلب منهم تولي إدارة مشروع يركز على الاهتمامات التي يحددونها بأنفسهم.

قدر محدود جدا من المساندة<sup>٢</sup>. كما أنهم يشكلون جماعات غير رسمية للدعم والتمثيل والأندية الرياضية وجماعات توليد الدخل وما إليها<sup>٣</sup>. وفي هذا السياق فإن الاستراتيجيات القائمة على المشاركة، التي يدخل فيها الشباب دون مستوى كبير من السيطرة على المدخلات والناتج، تصبح ضربا من العبث والاستهانة بالقدرات.

### عدم سريان حق المشاركة

مع التوافق ١٩١ دولة حول اتفاقية حقوق الطفل<sup>٤</sup> (التي لم يبق سوى دولتان لم تصادقا عليها وهما الولايات المتحدة والصومال)، ومع قيام الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية باستكشاف مناهج لوضع البرامج القائمة على الحقوق وتطويرها واختبارها، أصبحت قضية تنفيذ حق الأطفال في المشاركة (مادة ١٢ من اتفاقية حقوق الطفل) من القضايا الساخنة. وأدت المناهج أو المداخل العديدة، مثل تقييم المشاركة الريفية، والتخطيط الموجة لعامة الناس وبعض المداخل المعتمدة على لتخاطب بين القرين والقرين/الطفل والطفل، إلى دفعة كبيرة في الفهم القائم في أوساط وكالات المعونات الإنسانية لقيمة إشراك «الشعوب المستفيدة»، والحاجة إلى ذلك الاشتراك في تدريبات التخطيط والتقييم والمسوح الاجتماعية بالإضافة إلى تنفيذ البرامج. كما وضعت بعض المنظمات والاتحادات، مثل منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) ومفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين والتحالف الدولي «أنفذوا الأطفال» ولجنة الإنقاذ الدولية، مناهج داخلية خاصة للمشاركة من منظور الحقوق. بل إن الحكومات المانحة في بعض الأحيان تشترط أن تكون مشاركة المجتمع المحلي أو المستفيدين مكونا قابلا للقياس في عملية تنفيذ المشروعات.

ولكن على الرغم من بعض الاستثناءات الهامة، فإن النتائج الأولية في المواقع البحثية الثلاثة توضح أن هناك محاولات محدودة لإدراج المراهقين في صناعة القرارات الخاصة بالبرامج باعتبارهم شركاء لهم دور

## يقول معظم الشباب إنهم يشعرون بالتهميش

واضح على قدم المساواة مع الآخرين. وغالبا ما تكتفي المنظمات بالاستماع إلى عدد من آراء الشباب قبل تنفيذ المشروعات الموجهة لهم. وغالبا ما تضيع فرص بناء القدرات الشبابية من خلال تعميق مشاركتهم، الأمر الذي يؤثر في آخر الأمر على دوام البرامج ومدى صلتها بواقعهم. ويقول معظم الشباب إنهم يشعرون بالتهميش من جانب أولئك

الذين يفترض أن يعملوا على مؤازرتهم.

ويأتي ذلك في سياق الاتجاه العام للنظر إلى الشعوب «المستفيدة» على أنها مستفيدة فحسب، أي أناس يفترض أن ينتفعوا بشيء ما ولكنهم منفصلون ومختلفون قطعا عن الجهة المانحة. كما يعكس ذلك الوضع الرؤى المختلفة لفهم موضوع حماية الطفل التي تقوم أساسا على حماية البالغين للأطفال، على العكس من المدخل التعاوني الأوسع الذي يقوم على الشباب الذين يفكرون ويعملون بأنفسهم، بحيث لا يصبحون منتفعين من الحماية فحسب، فنجد مثلا أن المتطوعين في مجتمعات اللاجئين المسؤولين عن متابعة حماية الأطفال ليس فيهم إلا قلة قليلة من الأطفال أو المراهقين، وأن إدخال الأطفال والمراهقين في هذا الميدان يتعرض للتعطيل، بينما يأخذ البالغون الأولوية عند اتخاذ القرارات الأساسية.

ومن المنتظر أن تجري اللجنة النسائية دراسة مقارنة لتحليل النتائج الأساسية في المواقع الأربعة. وبفضل وجود المراهقين والبالغين الذين يتعاونون سويا في هذا التحليل فمن المتوقع أن يتسم بنظرة فاحصة لموضوع مشاركة المراهقين في مختلف مجالات حياة الشباب داخل البيت وخارجه. كما سيحدد التحليل الأنماط السائدة في ممارسات المنظمات لوضع واستخدام المناهج القائمة على المشاركة والتي تركز على المراهقين. ومن أبرز الإنجازات في هذه المجالات تعزيز بيئات التعلم القائمة على المشاركة والتي تركز على الأطفال والمراهقين، والمشاركة المباشرة للصغار في اقتفاء آثار الأسر ولم شملها، وزيادة فرصة المراهقين في حضور المناقشات الخاصة بالسياسات الدولية مثل جلسة الأمم المتحدة الخاصة بالأطفال.

### منهج الدراسة الميدانية والدروس المستفادة

تهدف جهود اللجنة النسائية المتعلقة بالمراهقين إلى تحسين مستوى المعرفة بأوضاع المراهقين في الصراعات المسلحة، والدعوة لدعم السياسات المتصلة بهذا الموضوع، وزيادة الخدمات والحماية المقدمة لهم في الطوارئ الإنسانية وفي أثناء أنشطة إعادة البناء. وقد بدأت هذه الجهود بدراسة نظرية عنوانها «طاقات غير مستغلة: المراهقون المضارون من الصراعات المسلحة» (٢٠٠٠)؛ حددت الأنماط والممارسات القائمة في مجال الاستجابات الإنسانية للتعامل مع بواعث القلق في هذا الصدد، وأوضحت الحلول والأفكار اللازمة لتحسين أحوالهم. وتسعى سلسلة الدراسات الرباعية والدراسة المقارنة

التي ستعقبها وما يرتبط بها من جهود الدعوة إلى دعم كل هذه المقاصد.

وفي كل موقع من المواقع الميدانية، قام فريقان للبحث بالعمل في مكانين مختلفين من البلد، وتضمن كل فريق حوالي ٢٦-٢٨ مراهقا وسبعة إلى تسعة من مستشاري البحوث البالغين. وكان تسويق العمل يجري من خلال مجموعة تسويق شبابية، يفضل أن تضم منظمة شبابية محلية غير حكومية أو جماعة شبابية محلية. وقامت اللجنة النسائية وغيرها من الجماعات أو المنظمات المهتمة في المنطقة بمساعدة الفرق في عملها وتقديم المشورة لها.

وتتراوح أعمار الباحثين بين العاشرة و١٩ عاما، ونصفهم من الفتيات ونصفهم من الفتيات. ويمثلون مجموعة متنوعة من تجارب المرافقة، فمنهم المجندون السابقون والأمهات المرافقات والأيتام والتلاميذ والأطفال الذين لا يذهبون للمدرسة والعاملون واللاجئون والنازحون الداخليون والمعوقون وغيرهم. ومعظمهم يعرفون القراءة والكتابة، لكن البعض منهم أميون. وقليل منهم سبق لهم إجراء البحوث، ومعظمهم تعرضوا لتعطل دراستهم الرسمية بسبب الصراع. وقد تم إجراء جميع جوانب البحث بلغاتهم الأصلية مع توفير الترجمة في حالة الضرورة.

واشترك كل فريق بحثي في دورة تدريبية مدتها ثلاثة أيام طرحت فيها اللجنة النسائية سؤالا محوريا، وهو «ما هي المشاكل الأساسية للمراهقين، وما هي الحلول الممكنة؟» وتعرفت الفرق على مناهج البحث ومهارات التواصل والاستماع وإجراء المقابلات وتدوين الملاحظات وتقديم التقارير الموضوعية التي تتحرى الدقة والأخلاقيات السليمة وقامت بإجراء تطبيقات على كل هذه المهارات. وقضت الفرق وقتا طويلا في تصميم دراساتنا البحثية الخاصة بكل منها، وفي وضع الأسئلة التفصيلية التي توجه إلى أقرانهم وإلى البالغين حول مجموعة من القضايا التي اعتبروها مهمة. ولم تقترح اللجنة النسائية أو غيرها من الجهات المحلية المشاركة في إجراء التدريب أي موضوعات أو أسئلة لهم، ولم تسترسل في شرح مفاهيم حقوق الإنسان أو حماية الطفل. ولكن الشباب في كل الأحوال أثاروا عددا من القضايا التي تغطي مجموعة كاملة من الحقوق وبواعث القلق، وإن كانوا قد أطلقوا عليها تسميات أخرى. وتضمنت المناهج التي استخدموها التركيز على المناقشات الجماعية ودراسات الحالة الفردية وكتابة المسوح التي تغطي أكثر هموم المراهقين إلحاحا. وتضمنت جلسات البحث في آخر الأمر قيام أحد المراهقين بإدارة

الأخرى ومراحل الاستجابات الإنسانية ومنع الأزمات، وهي دروس تطبق على الفصول الدراسية وعلى غيرها من الأماكن عموماً. وسوف تتضمن الدراسة المقارنة مزيداً من المعلومات عن هذا الجانب.

للرجوع إلى تقارير اللجنة النسائية حول المراهقين يرجى الاطلاع على الموقع التالي: [www.womenscommission.org](http://www.womenscommission.org)

جين لويكي كبيرة المنسقين بمشروع الأطفال والمراهقين باللجنة النسائية للجانث وأطفال اللاجئين.  
عنوان البريد الإلكتروني: [janel@womenscommission.org](mailto:janel@womenscommission.org)

١ سيكون هناك موقع رابع في آسيا حيث سيتم إجراء المشروع البحثي الرابع القائم على المشاركة.

٢ انظر «اختيار حياة أفضل: تعزيز حماية شباب كوسوفا وقدراتهم»، اللجنة النسائية، ٢٠٠٠، ص ٥٦-٥٨؛ وانظر «في مواجهة كل العراقيل: النجاة من الحرب على المراهقين، تعزيز حماية المراهقين الأوغنديين والسودانيين وقدراتهم في شمالي أوغندا»، اللجنة النسائية، ص ٥١.

٣ انظر: [www.unicef.org/crc/crc.htm](http://www.unicef.org/crc/crc.htm)

٤ جين لويكي: «طاقات غير مستغلة: المراهقون المضارون من الصراع المسلح»، اللجنة النسائية للجانث وأطفال اللاجئين، ٢٠٠٠، ص ٤-٥.

على تخطيط أنشطة الدعوة وتنفيذها لتوصيل توصيات الصغار لصناع القرار وغيرهم. وتضمن ذلك سفر بعض الباحثين المنتخبين من جانب زملائهم في رحلات داخلية أو دولية.

كما انتقل العديد من الصغار المشاركين في المشروع كباحثين لبدء مشروعات جديدة وتكوين جماعات عاملة من الشباب وإجراء المزيد من جهود الدعوة وتدريب الآخرين وما إلى ذلك. لكن مشاركة الآلاف ممن أجري عليهم البحث اقتضت على قضاء بضعة ساعات مع فريق البحث. ولذلك فإذا

لم ترجع فرق البحث إلى المجتمعات المحلية (وقد عادت بالفعل) أو إذا لم تبدأ منظمة من المنظمات في العمل معهم، فإن تأثير مشاركتهم على حياة الأطفال والمراهقين يظل محدوداً. إلا أن صوتهم الجماعي في الوقت نفسه قدم معلومات هامة استخدمت لإحداث تغيير في حياة العديد من المراهقين.

وإذا كانت دراسات اللجنة النسائية تتسم أساساً بأنها دراسات كيفية وتركز على البحث والدعوة، فإنها تعطي دروساً مفيدة لمن يقومون بكل أنواع التدخل في القطاعات

جلسة مركزة لمدة ساعة ونصف الساعة، بينما يقوم اثنان من المراهقين بتسجيل الملاحظات ويقوم مشرف بالغ بتقديم المساعدة حسب الحاجة. وتبع ذلك تقديم مسح مكتوب، حيث كان كل باحث مراهق مسؤول عن إعداد دراستي حالة من خلال إجراء المقابلات الفردية من تلقاء نفسه.

وقام الباحثون بإجراء تطبيقات على هذه الأنشطة خلال التدريب، حيث توقف البالغون

## أن صوتهم الجماعي في الوقت نفسه قدم معلومات هامة

عن السيطرة على أنشطة المراهقين واكتفوا بتقديم المشورة حسب الحاجة. وقام الباحثون بتصميم «تي شيرتات» وبياعات خطة بحث تفصيلية وتحديد الجماعات التي سيتحدثون معها والأماكن التي سيلتقون بها فيها - وهذه الجماعات هي تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية والأمهات المراهقات والمحاربون السابقون واللاجئون وكبار السن والباثعون البسطاء المراهقون وغيرهم. واستغرق البحث الأولي حوالي شهراً وتم تنفيذه كل جوانبه على أيدي الفرق. وكتب كل فريق من الفرق إلى جانب اللجنة النسائية تقارير عن النتائج التي توصلوا إليها، وتعاونوا

### مشاركة المراهقين: بعض الدروس المستفادة

- يعتبر المراهقين مصدراً للقدرات والإبداع والطاقة والحماس وهو مصدر عظيم لا تقدر قيمته، ويتميز المراهقون بأنهم لهم أفكار هامة وقيمة.
- مشاركة المراهقين ضرورية وقابلة للتحقيق، وقد تأخذ صوراً متعددة.
- يستمتع المراهقون بالمشاركة في الأنشطة البناءة ويتعلمون منها، خصوصاً الأنشطة التي يتخذون فيها القرارات، ويتولون فيها القيادة والقيام بإجراءات فعلية، وتؤدي مشاركتهم إلى بناء قدراتهم بطرق مفيدة في حياتهم بعد انتهاء المهام التي ينفذونها في المشروع.
- إذا كانت الإجراءات القائمة على المشاركة يمكن أن تؤدي إلى تمكين الصغار، فمن الممكن أن تؤدي أيضاً إلى زيادة السيطرة عليهم حسب مستوى استشارة المراهقين وقدرتهم على الاختيار - إذ أن المشاركة الكاملة تتجاوز التشاور لتصل إلى فرصة تولي القيادة.
- إشراك الشباب والشابات في أعمال الأبحاث والتقييم يضعهم في موقع يتولون فيه الدعوة بأنفسهم ويدخلون في حوارات مع المجتمع مستخدمين المعلومات والمعرفة المكتسبة، مما يضيفي شرعية على مساهماتهم.
- يمكن للبالغين، ويجب عليهم، دعم مشاركة المراهقين بعدة طرق مهمة مختلفة، تستلزم منهم تعليق هياكل السلطة التي تحيد آراء الكبار ومساهماتهم.
- يؤثر التفاوت في التجارب والمهارات والمفاهيم التي يشارك بها المراهقون إلى الأنشطة - بما في ذلك مفاهيم المراهقين عن أنفسهم - على نوعية مشاركة الصغار وطبيعتها.